البـــدائل السوسيولـــوجية والظروف البنائية

مدخل حول البدائل السوسيولوجية:

يعكس ظهور البدائل النظرية موقفا متمردا (نسبيا)، إن جاز لنا التّعبير عن الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع الكلاسيكي (الوضعية)، وبخاصة ما ركز منها على دراسة الوحدات الكبرى،محاولا السعي إلى انتهاج خطى البحث العلمي في مجال العلوم الطبيعية،فيما تغافل جوانب الاختلاف في خصائص الظواهر الاجتماعية وجوانب القصور المنهجي في مستويات التحليل أنساق التفسير التي ساهمت في بلورتها. وهذا؛ في وقت عرف بظهور أحداث وتحولات كبيرة في بنية المجتمع الغربي والأمريكي على وجّه الخصوص، تزامنا والتطورات الصناعية والتكنولوجية وانعكاساتها على العلاقات الاجتماعية والمنظومة الثقافية (فترة السّتينيات والسّبعينيات).

لقد اتجّه بعضا من الباحثين في علم الاجتماع إلى التّنبيه إلى بوجود أزمة في علم الاجتماع، وفي العموم "ارتكزت نظريات التبادل الاجتماعي لدى مؤسسيها وروادها المعاصرون (هومنز، بلاو ورتشارد امرسون) على قاعدة معرفية صلبة؛ عبدت لها الطريق نحو إرساء قواعد منطقية تم الاسترشاد بها في فهم أشكال السلوك الاجتماعي المختلفة، وتفسير الظواهر الاجتماعية على نطاق الجماعة الأولية، اشتملت دراسات سابقة في مجال علم الإنسان والانثروبولوجيا الاجتماعية والتطبيقية، خاصة تلك التي رصدت أشكال التفاعل الاجتماعي الأولي وصور العلاقات في المجتمعات البدائية "القبائل"، لكل من: جيمس فريزر(التماسك الاجتماعي والقيم الدينية)، برونيلامالينوفسكي وشتراوس"[1].

وأهم هذه الاتّجاهات: الاتّجاه التفاعلي الرمزي، الاتّجاه الفينومينولوجي والاتّجاه الاثنوميدودولوجي.

[1] ميشيل مان: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، ص: 196.

1) اتجاهات التفاعلية الرمزية:

مدخل حول الاتجاه التفاعلي كأساس معرفي؛

تأسست النظرية التفاعلية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد شارك في التأسيس كل من العالمين جورج زيملوجارلسهورتونكوولي، في حين شارك في تطوير النظرية وإنمائها البروفيسور مورس كينزبيرك،تعتقد النظرية التفاعلية بأن الحياة الاجتماعية وما يكتنفها من عمليات وظواهر وحوادث ما هي إلّا شبكة معقدة من نسيج التفاعلات والعلاقات بين الأفراد والجماعات التي يتكون منها المجتمع. فالحياة الاجتماعية يمكن فهمها واستيعاب مظاهرها الحقيقية عن طريق النظر إلى التفاعلات التي تقع بين الأفراد.[1] فيما تعتقد النظرية التفاعلية الرمزية أن "الحياة الاجتماعية التي نعيشها ما هي إلّا حصيلة التفاعلات التي تقوم بين البشر والمؤسسات والنظم وبقية الكائنات الحية والميتة، وهذه التفاعلات تكون ناجمة عن الرموز التي كونها الأفراد نحو الآخرين بعد التفاعل معهم".[2] وهكذا ساهمت التفاعلية بفكرة " التفاعل" في بروز التفاعلية الرمزية بانبثاق فكرة "التفاعل الرمزي".

أولا –الأساس المنهجي للتفاعلية الرمزية:

وتعتبر التفاعلية الرمزية[3] واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية، وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى(MICRO)منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى(MACRO). بمعنى أنها تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي. فأفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من الأدوار؛ يمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تّجاه بعض من حيث المعاني والرموز. وهنا يصبح التركيز إمّا على بنى الأدوار والانساق الاجتماعية، أو على سلوك الدّور والفعل الاجتماعي. ومع أنّها ترى البُنى الاجتماعية ضمنا، باعتبارها بنى للأدوار بنفس طريقة بارسونز، إلّا أنها تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الانساق، بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكل عبر اللّغة، والمعاني، والصُّور الذهنية، استنادا إلى حقيقة مهمة هي أنّ على الفرد أنّ يستوعب أدوار الآخرين.

يقترب المنهج الذّي طوره التفاعليون الرمزيون، من المنهج الفينومينولوجيوالاثنوميتودولوجي من حيث أنه محاولة لكسر الحواجز التي تفصل بين ذات الباحث وموضوع بحثه. بحيث يتمكن من الغوص في أعماق الذات لكي يستخلص منها المعاني والتصورات المختلفة. ويلخص فورمان دنزن[4] القضايا المنهجية للتفاعلية الرمزية فيما يأتي:

---

[1] احسان محمد الحسن، **النظريات الاجتماعية المتقدمة**، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان، 2005، ص65

[2] المرجع نفسه، ص79.

ويكيبيديا: **الموسوعة الحرة**، تاريخ التصفح 2019/12/12، الساعة: 12.52، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/

[4] احمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص ص: 451-452,

- ربط السلوك الضمني (الكامن) **Covert**بأنماط السلوك الظاهرة**Overt** . فالباحث يجب أن يبدأ من أنماط السلوك الظاهرة، ثم يحاول الكشف عن المعاني التي يضفيها الفاعلون على هذه الأنماط السلوكية.
- يركز الباحث على الذات كموضوع وعملية في نفس الوقت، فيدرس السلوك من وجهة نظر الأفراد الذين يدرسهم، موضحا تحول الذات نحو الذات عبر المعاني المختلفة في المواقف السلوكية المختلفة.
- يحاول الباحث بعد ذلك أن يربط الرموز والمعاني التي يستخدمها الأفراد بالدوائر الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية الأوسع، وإلا ظل التحليل عند مستواه السيكولوجي.
- إذا كان السلوك يظهر داخل «موقف»، وإذا كان المعنى الذي يضفي على هذه المواقف يؤثر على أنماط السلوك اللاحقة، فإن التحليل الموقفي يجب أن يكون عنصرا أساسيا في الدراسة (تتضمن عناصر الموقف: الفاعلون كموضوعات، ميزة التفاعل أو مكانه، المعاني التي تظهر في الموقف، والوقت الذي يستغرقه التفاعل).
- إذا كان التفاعل الرمزي يتميز بأنه تفاعل مستمر ومتغير في نفس الوقت، فإن استراتيجيات البحث يجب أن تعكس كلا الجانبين من التفاعل.

ثانيا- رواد التفاعلية الرمزية (جورج هربرت ميد):

بطـــاقة هوية

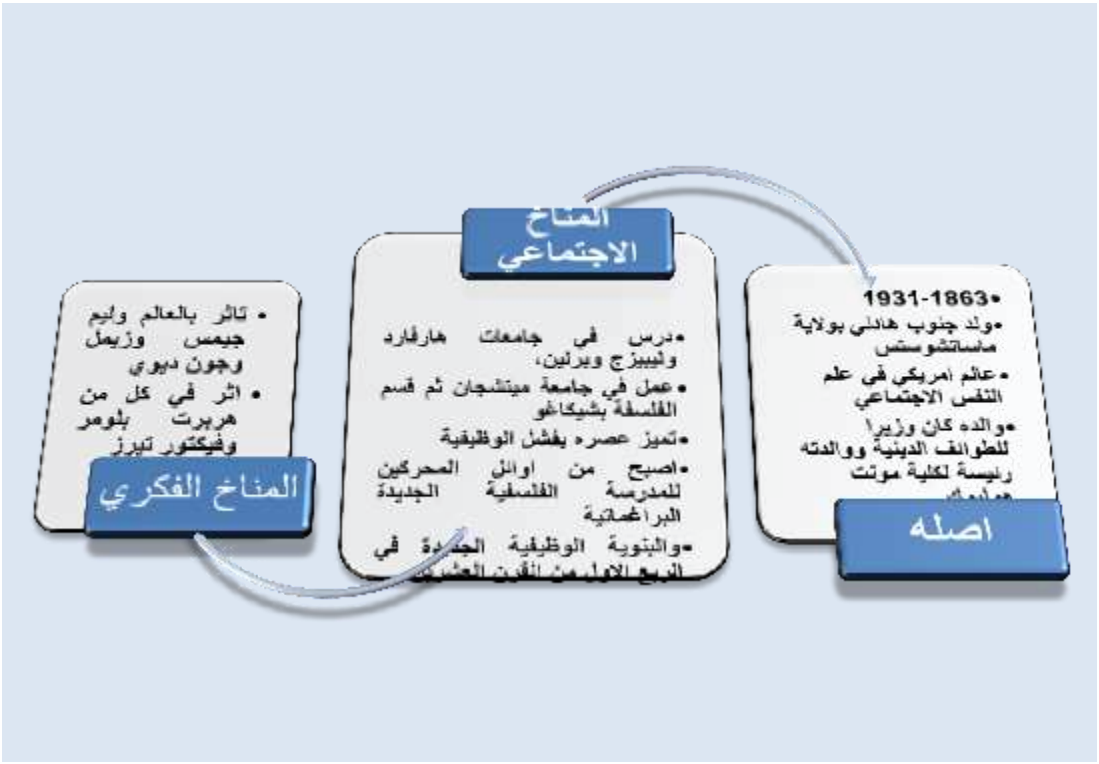

أولا-أهم مؤلفاته[1]:

- الجريمة والعقاب والفعل البطولي والجزاء سنة 1914
- الحركات الفكرية في القرن التاسع عشر
- فلسفة الفعل الاجتماعي، نشرت بعد وفاته خلال الفترة (1934-1938)
- أبحاث علمية في مادتي علم النفس الاجتماعي والفلسفة.
- مؤلفات حول: المهاجرين؛ بيوت التأهيل؛ اقتراع النساء؛ العمل، والتعليم، والديمقراطية؛

[1] محمد شهاب: **رواد علم الاجتماع**،www.kotobarabia.com ص: 26

https://www.google.com/search?q=جورج+هربرت+ميد

- **العقل والذات والمجتمع، الأكثر شهرة نشر بعد وفاته.**

نشر أكثر من ثمانين مقالة في حياته.

المـفاهيم:

- **الرموز**
- **التفاعل الرمزي**
- **النفس/الذات البشرية**

ثانيا- جهوده الفكرية:

يعود صك تعبير التفاعل الرمزي إلى هربرتبلومر، وينسب الاتجاه التفاعلي إلى عدد من المفكرين من أمثال: جارلسهورتونكوولي، توماس وربرت بارك، بيرجس، فلورين زينانيكي، ووليام جيمس،جون ديوي[1]وجورج هربرت ميد، الذي ربط فكرة الذات الفاعلة بعالم الرموز واضعا الأساس النظري للتفاعلية الرمزية، كما اتجه البعض إلى التراث الفينومينولوجي. "ويتركز علم النفس الاجتماعي عند ميد حول نظريته عن العقل، والذات، وطبيعة الاتصال، والفعل الاجتماعي، ولكنه بجانب هذا قام أيضا بتدريس موضوعات عن الفكر وفلسفة العلم في القرن التاسع عشر"[2]. ولقد قيل عن جورج هربرت ميد بأنه: "يعتبر الآن من بين المفكرين الأمريكيين القلائل اللذين ساعدوا في تشكيل خاصية العلم الاجتماعي الحديث" [3].

المفهومات المركزية لنظرية التفاعل الرمزي لدى ميد:

تتأسس نظرية ميد حول عملية التفاعل الرمزي بناء على جملة من الأفكار والمفهومات المركزية[4] المتداخلة فيما بينها بعضها ذو طابع بيولوجي، نفسي واجتماعي «الفكرة، الرمز، المضمون (المعنى) واللغة» يمكننا التعرض لها بشيء من الاختصار فيما يلي:

- ***فلسفة الجدلية:*** تتبع ميد مهمة واحدة: التغلب على الازدواجية التقليدية بواسطة المفهوم الجدلي لعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالطبيعة. فالفرد الحساس النشط الاجتماعي في نظر ميد يؤثر في بيئته، تماما كما تقوم البيئة (طبيعية واجتماعية) بالتأثير في إحساسه وفعله، ويؤكد ميد أن الفرد ليس عبدا للمجتمع، انه يقوم ببناء المجتمع تماما كما يساهم المجتمع في بناء الفرد.
- ***النفس:*** **The self** هي عند ميد وحدة اجتماعية مميزة عن الكائن الفيزيقي،..تظهر النفس في سياق خاص عن الخبرة والتفاعل الاجتماعي، وتظل تتطور في علاقتها بالعملية الاجتماعية والأفراد الموجودين فيها. وينتهي الأمر بان تصبح النفس موضوعا لذاتها وبالتالي المركز الذي

[1] **جون ديوي:**1859-1952 الفيلسوف والمنظر السوسيولوجي والتعليمي واحد المفسرين والمناصرين لمبدأ البرجماتية، وصاحب التأثير الكبير على ميد وعلى التفاعلية الرمزية ميشيل مان: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، ص: 196.

[2] - ميشيل مان: مرجع سابق، ص: 427.

[3] - رث والاس والسون وولف: مرجع سابق، ص: 332.

[4] - انظر: زايتلن: مرجع سابق، ص ص: 362-384.

تنظم حوله جميع الخبرات الجسدية...النفس إذن بناء اجتماعي، وحالما تتشكل تحصل على استقلالية من نوع ما – أي «أنها تزود نفسها بخبراتها الاجتماعية».

- ***الذات والذات المتأثرة:*** «**The«I»and The «Me»**الذات«I» هي وجه عملي للنفس لا يمكن للفرد الإمساك به إلا بعد وقوع الحقيقة. وهي العملية الحقيقية للتفكير والتصرف، أما الذات المتأثرة «**Me**» فعملية تأمل...وإذا كانت الذات المتأثرة هي اتجاهات الآخرين المنظمة التي يفترضها الفرد عن نفسه. فالذات تستجيب للذات المتأثرة –وهذه تعكس- الذات في عملية جدلية مستمرة.

- ***الذات البيولوجية عند ميد:*** إن تعبير الذات عن الحاجات الطبيعية للإنسان، أو عن الطاقة التي وراءها،وتسكن في أعماق الطبيعة البيولوجية للإنسان..زيادة على أن الذات البيولوجية في حالة توتر أكيد مع الذات الاجتماعية.. وإذا كانت المكونات البيولوجية للنفس نشطة، مندفعة وعمياء..فان حل الإشكال –لا يكون إلا -على أساس الطبيعة الجدلية للنفس، والتي يعتبرها وحدة التفاعل التي تجعل الإنسان قادرا على الفعل والتأمل في أفعاله، الأمر الذي يجعله قادرا على تعديلها،...فالتأمل هو القدرة الإنسانية الفريدة التي تمكننا من تحليل وإعادة تشكيل دوافعنا في حالة وجود العوائق والمحبطات.فالدوافع البيولوجية الأساسية مثل الجوع والجنس تشمل وتتطلب ظروفا وعلاقات اجتماعية لإشباعها من قبل أي كائن فرد.

- ***المجتمع:*** إن مفهوم ميد للمجتمع الإنساني يظهر تميز الصيغة الإنسانية في التطبيق العملي، حيث تتوسط (الأيدي) تفاعل الإنسان مع الطبيعة ومع الآخرين من الناس. انه يضع وزنا خاصا على اعتمادية وتداخل الخبرة العملية، بين توسط الأيدي، وظهور وتطور اللغة والوعي بالذات: فاللغة واليد يسيران معا في تطوير الكائن الاجتماعي الإنساني.

- ***فلسفة الحاضر:*** يقول ميد: إن الماضي (أو البناء دو المعنى للماضي) هو فرضي مثل المستقبل، وينطوي هذا بوضوح أن الماضي متضمن في الحاضر وانه يؤثر في المستقبل، فالماضي يقرر أفعال الإنسان ولكن في حدود ما يختار منه، وما يعيد من صياغته للتحضير للمستقبل...يملك الإنسان قدرة فريدة على الاتصال الذكي: قدرته على حل المشاكل الحاضرة، أو التغلب على المحن الحاضرة على أساس الخبرات السابقة، وعلى أساس نتائج مستقبلية ممكنة...كل ذلك على أساس الذاكرة والبصيرة.

نظرية التفاعل الرمزي لدى جورج هربرت ميد[1]

يعتقد جورج هربرت ميد بأن الذات في المجتمع أو الذات الاجتماعية هي حصيلة تفاعل عاملين أساسيين هما: العامل النفسي الداخلي الذي يعبر عن خصوصية الفرد وسماته الشخصية وسماته الشخصية المتفردة والعامل الاجتماعي الذي يجسد مؤثرات البناء الاجتماعي المحيطة بالفرد. وان تضافر هذين العاملين بعضهما مع بعض كما يعتقد ميد هو الذي يكون الذات الاجتماعية عند الفرد...ويعالج ميد في نظريته للتفاعلية الرمزية موضوع: "أنا" كما أقيم نفسي، و"أنا" كما يقيمني

[1] ارفنجزايتلن: مرجع سبق ذكره، ص ص: 371-383.

الآخرون. فعند تفاعل الفرد مع الآخرين لفترة من الزمن فان الآخرين يقيمونه بعد أن يعتبرونه رمزاذات معاني ومواصفات معينة. وعند وصول التقييم الآخرين للفرد المعني بالتقييم فانه يقيم نفسه كما يقيمه الآخرون لان تقييم الفرد لذاته ناجم عن تقييم الآخرين له. وهكذا يفسر ميد ظاهرة أنا أقيم نفسي (I) وأنا كما يقيمني الآخرون(ME)[1]

يوضح بلومر:" بالنسبة لميد فان الذات أكثر من مجرد استدماج مكونات البناء الاجتماعي والثقافة. إنها بصورة أكثر مركزية تمثل عملية اجتماعية. إنها عملية تفاعل الذات والتي من خلالها يشير الفاعل الإنساني إلى أموره الذاتية التي تواجهه في الموقف الذي يتصرف فيه، وينظم فعله من خلال تفسيره لمثل هذه الأمور. ينخرط الفاعل في هذا التفاعل الاجتماعي مع ذاته ، حسب ما يرى ميد، وذلك من خلال تقمص ادوار الآخرين، ويعنون نفسه ويعرفها من خلال تلك الأدوار، ويستجيب لتلك المقاربات والمنظورات. إن هذه الصياغة المفاهيمية لتفاعل الذات الذي ينسب الفاعل فيه الأشياء إلى ذاته تقع في أساس مخطط ميد لعلم النفس الاجتماعي. ومن ثم، فان الذات فعالة وخلاقة وليس هناك أجزاء مقومة مثل المتغيرات الاجتماعية أو الثقافية أو السيكولوجية التي تحدد أفعال الذات"[2].

يظهر ميد وجهين للذات[3] :

- الوجه الأول، هو "الأنا" والتي يعتبرها استجابة غير منظمة من العضوية نحو اتجاهات الآخرين، وهي المنطق العفوي أو الاندفاع للتصرف.
- الوجه الثاني، هو "الذات المنظمة"، وتمثل منظومة الاتجاهات المنظمة للآخرين والتي ينتحلها الفرد لذاته في المقابل .

يقول ميد: " **إن اتجاهات الآخرين تشكل الذات المنظمة ومن ثم يصدر الفرد نحوها ردود فعل باعتباره الأنا"**

تفاعل الذات،

يوضح ميد بأنّ الاتصال يمثل عملية يتقمص كل شخص بواسطتها دّور الآخر، أي أنّ كل شخص ينتحل اتجاه الفرد الآخر، بالإضافة إلى استدعائه في الآخر، وهذا الأمر يكون مستحيلا دون تفاعل الذات. إنّ وصف ميد لتقمص الدور يحدد أهمية وضع الأفراد أنفسهم مكان الآخر أو أن يجدوا لأنفسهم موطئ قدم. يقول ميد[4]:

"إنّه بذاته في دور الشخص الآخر الذي يكون فيه مثير ومؤثر كثيرا، إنّه من خلال تقمص هذا الدّور للآخر يتمكن من العودة إلى نفسه، وكذلك يتمكن من توجّيه عملية الاتصال الخاصة به. إنّ تقمص دّور الآخر يمثل تعبيرا استخدمه في غالب الأمر، وهو ليس ذا أهمية عابرة"

---

[1] إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص: 82
[2] رث والاس والسون وولف، مرجع سابق، ص: 332.
[3] المرجعنفسه، ص 334.
[4] المرجعنفسه، ص: 336.

مراحل تطور الذات،

حدد ميد ثلاث مراحل لتطور الذات[1] في كتابه حول "اللعب، والمباراة ، والآخر العام".

- *المرحلة الأولى*: هي مرحلة "ما قبل اللعب" في عمر السنتين وتتصف باللامعنى، والتصرفات القائمة على المحاكاة والتقليد، ..إن السبب وراء وصف ميد للتصرفات ب اللامعنى يتمثل في إن الطفل في هذا العمر يفتقد إلى المقدرة على تقمص اتجاه الآخر. وكما يوجزها ميد فان هذه المقدرة تتطور تدريجيا مع تطور الطفل كذات.
- *المرحلة الثانية:*هي مرحلة "اللّعب" والتي تظهر في مرحلة متأخرة من الطفولة، وتبدأ عندما يستطيع الطفل أن يضع نفسه في موقع شخص آخر، لكنه لا يتمكن من الارتباط بأدوار اللاعبين الآخرين. إن الاتصال بين اللعب من ناحية وتطور الذات المنظمة والمقدرة على تقمص دور الآخر من ناحية أخرى، يظهر بشكل محدد عندما يوبخ الأطفال الصغار ألعابهم لأنها أصبحت سيئة أو يحذرونها من أن تصبح متسخة ا وان تفعل شيئا خطرا. وبصورة مشابهة فان الأطفال يقلدون تصرفات الآخرين ضمن عملية تقمص دور بسيط.
- *المرحلة الثالثة:* مرحلة "المباراة" يكون هناك لاعبين كثيرين يشتركون في الفعل مع بعضهم. وهذا يحدث في المباريات المعقدة والمنظمة، والتي ينبغي على عضو الفريق فيها أن يتوقع جميع اتجاهات وادوار اللاعبين الآخرين...وفي مرحلة المباراة فان الآخر وثيق الصلة بالموضوع، هو تنظيم اتجاهات جميع المنخرطين في المباراة ...وفي السياق الأوسع، يتضمن الآخر العام الاتجاهات المنظمة للمجموعة ككل، يوضح ميد:

النفس الناضجة تبرز عندما يتم استدماج الآخر العام بحيث تمارس المجموعة سيطرتها ورقابتها على أفرادها ...ومن ثم، فان البناء الذي بنيت عليه الذات هو هذه الاستجابة العامة بالنسبة للكل، أما بالنسبة للمرء الذي يريد أن يكون عضوا في مجموعة فعليه أن يكون ذاتيا.

المعنى الرمزي،

يتكون المعنى من خلال العملية الاجتماعية، ويبقى مرتبطا بقوة مع هذه العملية. ويمكن وجود المعنى موضوعيا حتى في غياب الإدراك أو الوعي. يقول ميد:" إن "المعنى" هو...تطور لشيء موضوعي موجود كعلاقة بين أطوار معينة في الفعل الاجتماعي، انه ليس زيادة فيزيقية لهذا الفعل، كما انه ليس "فكرة" تم تصورها بالطريقة التقليدية.[2]

لقد تم اشتقاق معنى الرمزي من تعريف ميد للإيماءات...يعرف الرمز لديه بأنه: "المثير الذي تعطى استجاباته سلفا". يوضح ميد: نحن نتصرف غالبا بشان الموضوعات ضمن ما نطلق عليه طريقة ذكية. وعلى الرغم من ذلك فإننا نستطيع أن نتصرف دون أن يكون معنى الموضوع حاضرا في خبرتنا .

---

[1] المرجعنفسه، ص: 340-341.
[2] ارفنجزايتلن، مرجع سابق، ص: 367-368.

يمكن أن يبدأ المرء بارتداء ملابسه للذهاب إلى عشاء ، كما اخبروا عن الأستاذ شارد الذهن في الكلية، ويجد نفسه مرتديا البيجامة في السرير. إن عملية معينة مثل خلع الملابس قد بدأت ونفذت بشكل ميكانيكي. انه لم يدرك معنى ما كان يفعل، لقد دعي للذهاب إلى عشاء ووجد نفسه قد ذهب إلى السرير. إن المعنى المتضمن في فعله لم يكن حاضرا. إن الخطوات في هذه الحالة كانت جميعها خطوات ذكية ضبطت تصرفه بشان الفعل الأخير، لكنه لم يكن يفكر بما كان يفعل. إن الفعل الأخير لم يكن مثيرا لاستجابته لكنه نفذ بذاته عندما بدا أول مرة[1].

المبادئ الأساسية للتفاعلية الرمزية لدى ميد[2]:

- يحدث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد الشاغلين لأدوار اجتماعية معينة ويأخذ زمنا يتراوح بين أسبوع إلى سنة؛
- بعد الانتهاء من التفاعل يكون الأفراد المتفاعلون صورا رمزية ذهنية على الأشخاص الذين يتفاعلون معهم، وهذه الصور لا تعكس جوهر الشخص وحقيقته الفعلية وإنما تعكس الحالة الانطباعية السطحية التي كونها الشخص تجاه الشخص الآخر الذي تفاعل معه خلال مدة زمنية معينة؛
- عند تكوين الصورة الانطباعية عن الفرد تلتصق هذه الصورة عن الفرد بمجرد مشاهدته أو السماع عنه أو التحدث إليه من دون التأكد من صحة المعلومة أو الخبر أو الحادث لان الشخص أو الفرد اعتبر الفرد الآخر رمزا، والرمز هو الذي يحدد طبيعة التفاعل، مع أن الصورة الرمزية التي يكونها الفرد عن الآخر قد تكون ايجابية أو سلبية اعتمادا على الانطباع أو الصورة الذهنية التي كونها عنه؛
- حينما تتكون الصورة الرمزية عن شخص معين، فان هذه الصورة سرعان ما ينشرها الشخص الذي كونها عن الشخص الآخر المتفاعل معه، وتنتشر هذه الصورة بين الآخرين، فيكونون صورا ايجابية أو رمزية اعتمادا على نوع الانطباع وليس عن حقيقة ذلك الشخص ودوافعه؛
- عندما يعطي الشخص المقيم انطباعا صوريا أو رمزيا معينا يكون هذا الانطباع ذا نمط متصلب ليس من السهولة بمكان تغييره أو إدخال صورة ذهنية مخالفة للصورة الذهنية التي تكونت عنه، وهذه الصورة الذهنية أو الانطباعية سرعان ما يعلم بها الفرد المقيم فيقيم نفسه بموجبها. وهنا يكون تقويم الفرد لذاته بموجب الصورة الرمزية التي تكونت عنه أو الصورة الرمزية التي كونها الآخرون تجاهه؛
- تفاعل الشخص مع الآخرين أو انقطاع التفاعل إنما يعتمد على الصورة الرمزية التي كونها الآخرون تجاهه، فإذا كانت الصورة الرمزية ايجابية فان التفاعل يستمر، بينما إذا كانت الصورة الرمزية المكونة عنه سلبية فان تفاعله مع الشخص الذي كون الصورة الرمزية حياله لابد أن ينقطع أو يتوقف.

---

[1] رث والاس والسون وولف: مرجع سابق، ص: 344.
[2] إحسان محمد الحسن: مرجع سابق، ص ص : 88-89

2) الاتجاه الفينومينولوجي:

أولا- أسس الاتجاه الفينومينولوجي: (الظاهراتي):

"يحاول الاتجاه الفينولينولوجي في علم الاجتماع إعادة النظر في كثير من المسلمات النظرية والمنهجيةالشائعة في الفكر السوسيولوجي الحديث، وهي[1]:

- تأكيد الفارق الهام بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية،
- يرفض اعتبار العلوم الطبيعية نموذج يمكن ان تحاكيه العلوم الاجتماعية،
- الظواهر الطبيعية لا تعبر عن بناء خارجي من المعاني وبالتالي يتيح للباحث حرية الملاحظة وتفسير الظواهر التي يدرسها تفسيرا خارجيا مستقلا،
- يدرس الباحث في العلوم الاجتماعية عالم يتشكل من خلال المعاني التي تمثل بالنسبة له وسيلة لفهم الواقع، كما أن الظواهر الاجتماعية تكتسب معاني خاصة بالنسبة للأفراد الذين يعيشون في إطار ثقافي معين، ومن هنا يتضح مدى الاختلاف بين دور عالم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي ودور العالم الطبيعي في دراسة العالم المادي.

يتعارض الاتّجاه الفينومينولوجي مع النزعة الوضعية، فيؤكد الفينومينولوجيون صعوبة الفصل بين العالم الاجتماعي من ناحية وأساليب تفسيره وفهمه من ناحية أخرى.

[1] مبروك بوطقوقة: **الاتجاه الفينومينولوجي**، تاريخ التصفح يوم 2019/12/12، الساعة 12.11، الرابط: http://www.aranthropos.com

ثانيا- رواد الاتجاه الفينومينولوجي:

ايموندهوسيرلHusserl Edmundوالفريد شوتزSchutz, Alfred

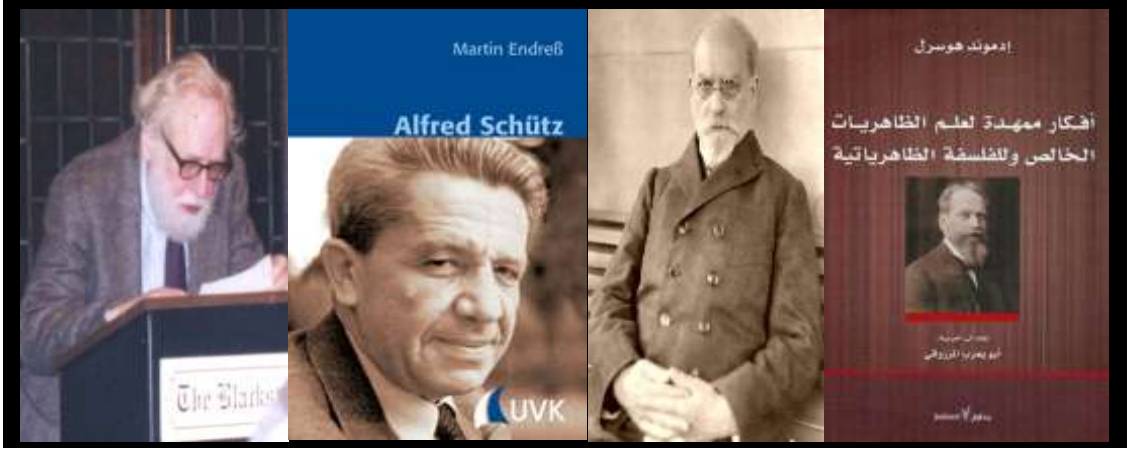

بطـــــــاقةهوية:

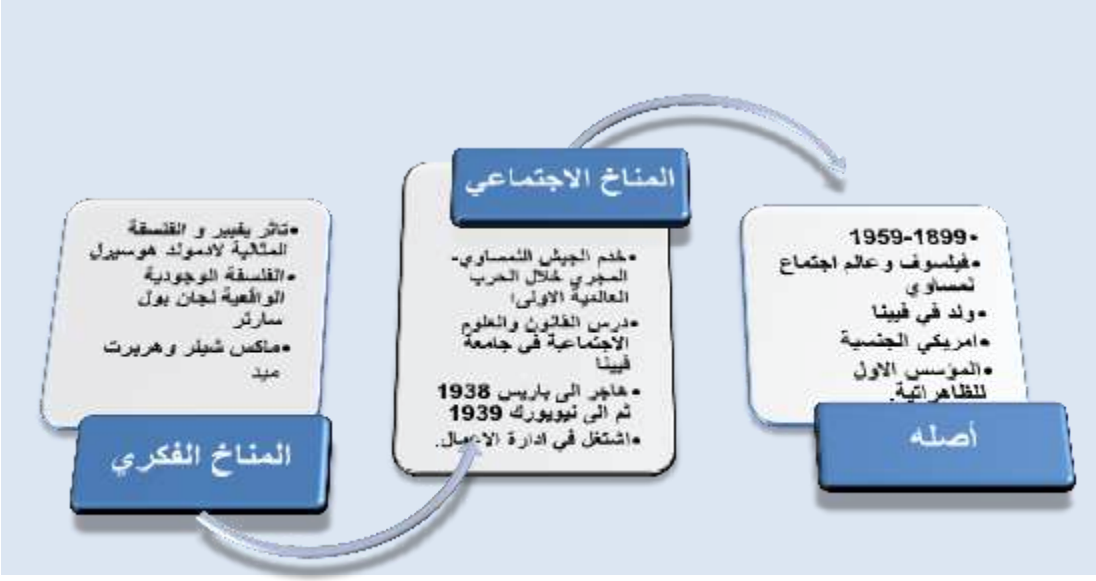

- أهم مؤلفات الفريد شوتز:

1. المؤلف الشهير: فينومينولوجيا العالم الاجتماعي 1932؛
2. مجموعة أوراق، ثلاثة مجلدات، خلال الفترة (1962-1966).

- جهوده الفكرية:

أسس الفكر الفينومينولوجي

إذا كان هوسيرل قد أرسى دعائم الفينومينولوجيا كمدخل فلسفي لدراسة الخبرات الخالصة؛ فإن الفريد شوتز هو الذّي طرح الإمكانات الهائلة التي تنطوي عليها الفينومينولوجيا في دراسة الواقع الاجتماعي...حاول تفسير تشكل الظواهر الاجتماعية من خلال الناس العاديين والخبراء. والهدف هو توضيح مدى الثراء الفكري الذي يمكن أن تنطوي عليه محاولات التنظير بالاعتماد على "الخبرات الشائعة" التي تزخر بها الحياة اليومية.[1]

إنّ هدف نظرية الظاهراتية لا يمثل هدفها الفلسفي الذي يهتم بالإطار الخارجي للظاهرة. بل حدده شوتز بجوهر الظاهرة الداخلي(البؤري) لكي ينفذ إلى كبدها ويكتشف مكنونها الذاتي من أجل معرفة تكوينها الجزيئي المتكون من المشاعر والإدراكات والأحاسيس الجوانية عند الفاعل، وكيف يتبادلها مع مشاعر وادراكات وأحاسيس الآخر[2].

مفهوم المعنى؛

في محاولته لتكييف فلسفة هوسيرل لعلم الاجتماع؛استدمجشوتز مفهوم المعنى الذاتي عند ماكس فيبر. فبالنسبة لشوتز؛ فان المعنى الذي يضفيه الفرد على الموقف في الحياة اليومية ينطوي على أهمية بالغة، انه يسلط الضوء على تعريف الفرد الذاتي للموقف. يتضمن تعريف الموقف الافتراض بان الأفراد ينجذبون إلى "مخزون معرفي" عام، أي الوصفات أو التصورات حول السلوك الملائم الذي يمكنهم من التفكير بالعالم على انه مؤلف من مجموعة "أنماط" من الأشياء مثل الكتب، والسيارات، والمنازل، والملابس الخ. إن فكرة شوتز عن المخزون المعرفي تشبه فكرة ميد حول الآخر "*العام*"...يرى أن الأفراد يبنون عالمهم باستخدام التنميطات أو الأنماط المثالية والتي تستند بالنسبة لهم على جماعتهم[3]. يتصرف الناس على أساس افتراضات معطاة ومسلم بها حول الواقع، إنهم يعقلون الشكوك بان الأشياء يمكن أن تكون مختلفة، ويتواصل التفاعل على افتراض تبادل المنظورات. وهنا نستطيع ان نستنبط بعض مفهوم "تقمص دور الآخر" والذي استدمجهشوتز كذلك في إطاره النظري.[4]

الحياة اليومية، الخبرة الإنسانية والبناء الاجتماعي؛

في نظره تتكون الظواهر الاجتماعية من المفاهيم العادية التي يكونها الأفراد عن العالم وعن بعضهم البعض خلال حياتهم اليومية. وعندما يصوغ الباحث صياغاته الفكرية فانه يقيمها في ضوء الصياغات التي يكونها الإنسان الذي يعيش حياته العادية وسط قرنائه. ومن ثم الصياغات الفكرية التي يقدمها علماء الاجتماع ما هي إلا صياغات من الدرجة الثانية، وهي صياغات عامة لصياغات فردية كثيرة يكونها الفاعلون على مسرح الحياة الاجتماعية.[5]

---

[1] السيد الحسيني، المرجع السابق، ص: 250.
[2] معن خليل عمر، المرجع نفسه، ص: 247.
[3] رث والاس- السون وولوف، المرجع السابق، ص: 424.
[4] المرجعنفسه، ص: 428.
[5] احمد زايد: مرجع سابق، ص: 418.

أكد شوتز على الدور الايجابي الفعال للذات، وذهب إلى أن الواقع الاجتماعي عملية يعاد بنائها باستمرار خلال الأفعال اليومية للأفراد. تابع شوتز فيبر في رفضه للمنهج الوضعي لاكتشاف الحياة الاجتماعية والثقافية، وذهب إلى أن موضوع علم الاجتماع هو الأفعال ذات المعنى التي تقوم بها الذوات الإنسانية[1]. يعرف شوتز "عالم الحياة" بأنه فيض مستمر من الفعل والخبرة، بحيث لا يفكر الفاعل في هذه العملية إلا نادرا...عالم ما بين الذوات الإنسانية[2]

في هذا الصدد يقول:" يدخل كل إنسان في علاقات مع الآخرين. وبذلك يصبح عضوا في بناء اجتماعي قائم بالفعل. ومعنى ذلك أن البناء سابق في وجوده على الفرد. ولكل بناء اجتماعي شامل مجموعة الملامح البنائية كالعلاقات القرابية وجماعات العمر، فضلا عن تقسيم العمل والتباين طبقا للمهن، ويحكم البناء ضربا من توازن السلطة. فالقادة هم من يتولون مهام التوجيه، مما يؤدي إلى ظهور سلطات متدرجة داخل المجتمع[3].

قضايا في علم الاجتماع

إن العلم الاجتماعي، يبدأ من الطبيعة المسلم ببداهتها والواضحة بذاتها للعالم الاجتماعي، والتي تعتبر خاصية مميزة لأولئك الأفراد الذين يبقون داخل "الموقف الطبيعي" والمقصود بالموقف الطبيعي هو الموقف الذي يتقبل واقع الحياة اليومية ويتشكك في كل شيء سواها[4].

لقد اعتقد شوتز أن هذه الرؤية الفينومينولوجية، يمكن أن تحل الكثير من مشكلات العلوم الاجتماعية...فالمهمة الأساسية المنوطة بالعلوم الاجتماعية هي الكشف عن المبادئ العامة التي ينظم في ضوئها الإنسان خبراته في حياته اليومية، وهي مهمة لا يمكن تحقيقها من خلال منهج العلوم الطبيعية الذي يفصل بين الذات التجريبية وبين العالم الخارجي، ومن المشكلات التي تحلها الرؤية الفينومينولوجية مشكلة الموضوعية[5].

ولقد تبلور من خلال أعمال شوتز اتجاه جديد في علم الاجتماع يقوم على مجموعة من القضايا الهامة التي تمثل أهمية خاصة بالنسبة للفكر الاجتماعي النقدي الحديث (الواقع الاجتماعي، مجالات المعنى، البناء الاجتماعي، التشيؤ، الحتمية، العلم، المعرفة، علم الاجتماع الامبريقي)[6]، وعموما يمكن حصرها فيما يأتي[7]:

- يكمن الأساس الفلسفي لعلم الاجتماع الفينومينولوجي في *فلسفة الظواهر* التي طورها هوسرل وهي الفلسفة التي أعاد صياغتها شوتز عندما أولى اهتماما للذات الداخلية للاتجاه الطبيعي مما يجعله مفيدا في دراسة الظواهر الاجتماعية.
- ومادة التحليل الفينومينولوجي هي ***خبرة الحياة اليومية***، وعالم الحياة المعطى كما يتجسد من خلال تركيبات من المعرفة التي يتم تكوينها ونقلها اجتماعيا. فعلم الاجتماع الفينومينولوجي لا يقتصر في دراسته على مضمون هذه التركيبات، ولكن مجال اهتمامه يمتد

---

[1] السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص: 338.
[2] المرجعنفسه، ص:138-139
[3] السيد الحسيني، المرجع السابق، ص: 153.
[4] السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص: 339.
[5] احمد زايد، مرجع سابق
[6] السيد الحسيني، المرجع السابق، ص: 250
[7] احمد زايد، مرجع سبق ذكره، ص: 420.

إلى العمليات التي من خلالها تتكون، وتنقل، وتستقبل مثل هذه التركيبات ودور الأبنية التنظيمية والنظامية في تشكيل مثل هذه العمليات.

- ينظر علم الاجتماع الفينومينولوجي للإنسان على أنه يمتلك عنصر *المبادأة في الفعلالاجتماعي*. وأن الفاعل يقف في *علاقة جدلية مع الواقع*، فهو يعد خالق هذا الواقع ونتاجا له في ذات الوقت.
- يترتب على ذلك أن يرتكز علم الاجتماع الفينومينولوجي على *مبادئ النزعة الفردية الميثودولوجية والاتجاه النسبي*، فالواقع، والصدق، والرشد يتحدد في ضوء المعاني التي يضفيها عليها الفرد في مواقفه وأفعاله، ويترتب على ذلك أن تعتمد اصدق التفسيرات السوسيولوجية على كفاءة هذه التفسيرات على مستوى التأويل الذاتي لخبرة الفرد العادية.

المعرفة وعلم اجتماع المعرفة:

حسب شوتز؛ فالبشر أنفسهم هم الذين ينشئون المعرفة والواقع الاجتماعي من خلال خبراتهم الذاتية المتبادلة فيما بينهم، ومن ثم فلابد لعلم الاجتماع أن يعيد بناء المفاهيم والنمطيات التي أنبّنت عليها معرفة الفطرة السليمة، وحسبه فإننا لا يمكن أن نجد ثمة قوانين مجردة للمعرفة أو الوعي، لذلك فانه من الممكن إغفال المناهج الفلسفية مثل منهج التجريد الراديكالي الذي وضعه هوسيرل ويمكن لعلم الاجتماع أن يستمر بالدراسة الامبيريقية لخلق وتأكيد الخبرات الذاتية المتبادلة[1].

لقد أصبحت تصورات شوتز عن العلم والمعرفة[2] احد الركائز الهامة التي يستند إليها علم الاجتماع المعرفي، فهناك تيارين فكريين داخل العلوم الاجتماعية يحاول كل منهما دراسة الواقع الاجتماعي:

- *التيار الأول*: يسعى إلى دراسة هذا الواقع بنفس الطريقة التي تدرس بها العلوم الطبيعية ظواهرها. ومعنى ذلك أن هذا التيار يسلم بصحة المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية وقدرتها على فهم ظواهر الإنسان.
- *التيار الثاني*: يسلم بوجود اختلافات جذرية بين العالمين الطبيعي والاجتماعي، وبالتالي فان هناك فروقا أساسية بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

يعتقد شوتز أن هذين التيارين ينطويان على قصور واضح. ففيما يتصل بالتيار الأول هناك افتراض قائم بان تبني مناهج العلوم الطبيعية يؤدي إلى معرفة يقينية بالواقع الاجتماعي. ومن شان ذلك إن يؤدي إلى صعوبة فهم موقع الناس داخل إطار الحياة اليومية، وهو هدف أساسي للعلوم الاجتماعية. أما التيار الثاني الذي يرفض تماما الاعتماد على مناهج العلوم الطبيعية فانه يتجاهل به أيضا حقيقة هامة هي: إن الحياة الاجتماعية لا تخلو من نظام وانتظام يتعين اكتشافهما من خلال الأساليب الامبيريقية.

لقد كان إسهامه المنهجي متميزا عن إسهامه النظري في هذا المجال. فإذا كان الانتقال عبر مجالات المعاني عسيرا فان الانتقال من مجال الحياة اليومية إلى مجال المعرفة أمر ممكن. يقول شوتز: "أن القضية الأساسية التي تدور حولها العلوم الاجتماعية تتمثل في تطوير منهج شامل من خلاله يمكن معالجة المعاني الذاتية للأفعال الاجتماعية بطريقة موضوعية. ويجب أن تظل الأنساق الفكرية

[1] ميشيل مان، مرجع سابق،ص ص: 624-625

[2] السيد الحسيني: المرجع السابق، ص ص: 253-254.

السائدة في العلوم الاجتماعية متسقة مع هدفها الأساسي وهو فهم الأنساق الفكرية الشائعة بين الناس خلال حياتهم اليومية، وذلك بهدف تحقيق أعمق واشمل للواقع الاجتماعي".

المعرفة العامة الشائعة[1] تتألف من نسق معرفي عام يكون من خلاله الفاعل مقولاته الفكرية التي تساعد على تحديد معالم البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها. ويتألف هذا النسق من ثلاثة جوانب أساسية هي:

- *الأول*: تبادل المنظورات: يشير إلى كل ما هو مألوف وشائع بالنسبة لكل الناس، يعبر عن عناصر الحياة العادية من وجهة نظر أفراد المجتمع.
- *الثاني*: النشأة الاجتماعية للمعرفة: تكتسب المعرفة وجودا تاريخيا، ثم ما تلبث أن تنتقل من خلال أساليب أو وسائل عامة كلغة الحياة اليومية.
- *الثالث*: التوزيع الاجتماعي للمعرفة: المعرفة المتداولة تتوزع اجتماعيا توزيعا متباينا، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى ظهور فئة من الناس تتميز بالمبادأة الفكرية في مقابل فئة أخرى تتخذ دور الاستجابة الفكرية.

النمط المثالي

يرى شوتز أن الافتراضات المسبقة تنشط من خلال عملية "التنميط". فنحن نقوم بتصنيف نمط مثالي آخر ووضعه في صورة نمطية مما يوفر علينا الانطلاق من بداية عاجلة، وذلك بالملاحظة والتقييم لنمط آخر. ورغم أن هذا يشترك في الشيء الكثير مع التفاعلية الرمزية، إلا انه يحمل طبيعة أكثر "مثالية"، فالافتراض المسبق(وهذا هو العقيدة ذاتها) في وجود عالم مشترك يعتبر أكثر أهمية في دعم النظام الاجتماعي من المضمون أو المحتوى الفعلي للعقيدة المشتركة. وربما كان هذا يوفر وسيلة للخروج من المأزق الذي وقعت فيه النظرية الوظيفية عندما أظهرت امبيريقيا أن الاجتماع على القيم والمعايير الأساسية هو أمر لا يوجد عادة في المجتمعات، وذلك ما أكدته أكثر "المنهجية الاثنية"[2]

من المآخـــــذ:

- ميشال مان: رغم تطلع شوتز إلى خلق منهج ونظرية يأخذان صفة العمومية بالنسبة لعلم الاجتماع ككل، إلا أن مدخله لم يتم استيعابه حتى الآن في التيار الرئيسي لعلم الاجتماع[3].
- هارولد جارفينكل: وضع أسس علم اجتماع يدرس الحياة اليومية، غير أن برنامجه النظري يخلو من أية إشارة امبيريقية، ولم يستطع حل المشكلات المنهجية الواقعية المتضمنة في البحث السوسيولوجيالامبيريقي للاتجاه الطبيعي ولم يستطع الإفادة من علم الاجتماع الفينومينولوجي في دراسة المسائل الأساسية في علم الاجتماع التقليدي[4].

---

[1] المرجع السابق، ص ص: 156-157
[2] ميشال مان: مرجع سابق، ص ص: 624-625.
[3] المرجعنفسه، ص: 625
[4] احمد زايد : المرجع السابق، ص ص: 441-442

3) الاتجاه الاثنوميتودولوجي:

اولا- الاسس الفكرية والمنهجية لبروز الاتجاه:

الاثنوميثودولوجيا هي تيار سوسيولوجي تطور خلال سنوات (1960)، في جامعة كاليفورنيا، عن طريق اثنين من رواده، وهما هارولد غرفنكل **(H,Garfinkel)**وأرون سيكورين**(A.cicourel)**، هذا المصطلح استعمل لأول مرةمرجعيا مع الاثنو علوم**(l'ethnoscience)**، الذي يحدد المناهج والمعارف العميقة المستعملة من طرف أناس لعقلنة ممارساتهم الاجتماعية...فالاثنومثودولوجيا هي مدرسة السوسيولوجيا الأمريكية والتي تدين بالكثير لمؤسسها غارفينكل...يرى عدد من المحللين لتطور النظرية السوسيولوجية من أمثال والترلاس بأن الاتّجاه الاثنوميثودولوجي ترتبط نشأته أو جذوره الفكرية بتحليلات كل من التفاعلية الرمزية والفينومينولوجية، ولا سيما، أنّ هذين المنظورين قد أحدثا تطورا كبيرا في النظرية السوسيولوجية، وتأثر أيضا بالتقليد البراغماتي، وبالفلسفة التحليلية...(فيما) يرى ألفن جولنار أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاهات النقدية التي شهدها علم الاجتماع في الستينات من القرن العشرين، وقد ظهر هذا المنور كأحد البدائل النظرية التي تتخذ موقفا نقديا من النظريات السوسيولوجية التقليدية وخاصة الاتجاه الوضعي"[1].

" إنّه من المهم دراسة كيف يبني الناس "تعليلات" للفعل الاجتماعي، أثناء قيامهم بذلك الفعل، وذلك لأن إدراك المراد من الموقف متضمن في إعطاء تعليلات لغوية للتفاعل الاجتماعي، وبحسب تعبير جارفينكل "أن تقوم بالتفاعل يعني أن تتحدث عن التفاعل"، ولهذا ليس من المدهش، إنّ العديد من الاثنوميتودولوجيين قد انخرطوا في تحليل المحادثات أو '(التحليلات التحادثية)، لأن تلك المحاولات تحتل مكان القلب من اهتمامات الاثنوميتودولوجي"[2].

[1] http://khaledsociologe.blogspot.com/2009/05/blog-post.html

[2] رث والاس ألسون وولف، مرجع سابق، ص443

ثانيا- رواد الاتجاه الاثنوميتودولوجي:

بطـــــــاقةهوية

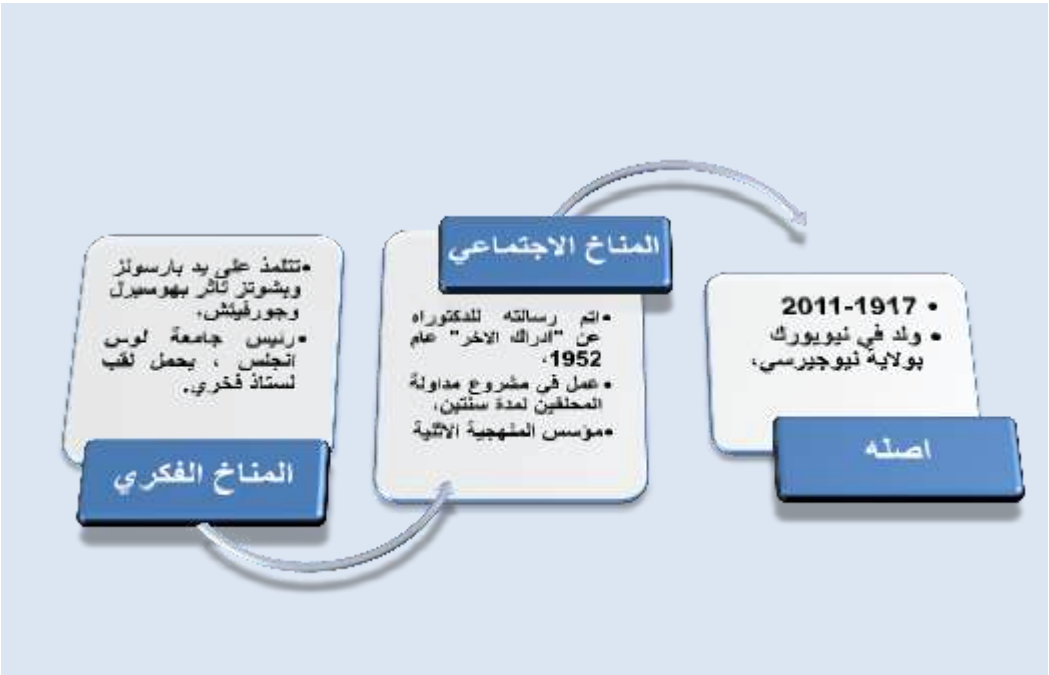

- **أهم مؤلفاته[1]:**
  - **دراسات في الاثنوميتودولوجي"(1967)؛**
  - **برنامج الاثنوميتودولوجي: العمل خارج المأثور عن دوركايم.**

[1] محمد شهاب: **رواد علم الاجتماع**، www.kotobarabia.com ص: 26
https://www.google.com/search?q=harold+garfinkel&biw=103

- جهوده الفكرية:

الأسس التصورية للنظري:

تتكون كلمة الاثنوميتودولوجي من مقطعين: "إثنو" **Ethno**بمعنى جماعة أو سلالة (قومية أو لغوية أو عرقية)، و"ميتودولوجي" وتعني منهجا. ويكون المقطعان مصطلح **Ethnométhodologie** الذي صاغه هارولد جارفينكل **H , Garfinkel** عام1967.

استفاد جارفينكل من فينومينولوجية الفريد شوتز في صياغة اتجاه جديد أو بديل جديد لعلم الاجتماع في أمريكا. لقد اخذ جارفينكل من شوتز اهتمامه بالحياة اليومية أو العالم العادي كما يظهر من خلال تصورات الأفراد واتجاهاتهم الطبيعية.[1]يمكن أن تعرف على أنها: طرق الأعضاء أو الناس في إدراك المراد من عالمهم الاجتماعي.[2]

تعود بدايات الاثنوميتودولوجي إلى تحليل هارولد جارفينكل لأشرطة مداولات هيئة المحلفين، التي أجراها في عام 1945، وذلك عندما كان يصوغ المواد ويصنف تلك المداولات، حيث حلم بالفكرة التي تمثل أساس مصطلح "***الاثنوميتودولوجي***". إن ما جذب انتباه جارفينكل حول البيانات هو كيف عرف المحلفون أنهم كانوا يعملون عند قيامهم بعمل المحلفين. بمعنى آخر، لقد كان مهتما بأشياء من قبيل استخدام المحلفين لنوع ما من المعرفة تدور حول الطريقة التي أديرت فيها الشؤون المنظمة للمجتمع.[3]

ينحصر مجال اهتمام الاثنوميتودولوجي في "دراسة كيفية تنظيم المواقف العملية في الحياة اليومية بطريقة اجتماعية، وكيف يستوعبها الأفراد، ويعرفونها، ويتعاملون معها كمجموعة متصلة من الأحداث الفعلية، والتي يفترض الشخص أن أعضاء الجماعة الآخرين يعرفونها بنفس الطريقة التي يعرفها بها وكيف يسلم بها هؤلاء الآخرون مثلما يسلم بها هو نفسه. فالحياة الاجتماعية –في نظره– ما هي إلا مشروع عملي يشارك فيه كل فرد يعيش في هذه الحياة. فالأنشطة التي يقوم بها الأفراد في حياتهم العادية تكون مركبا تنظيميا عمليا، فمن خلالها يخلق أعضاء الجماعة مواقف الحياة اليومية ويتحكمون فيها، وهي ترتبط بمحاولات هؤلاء الأعضاء جعل هذه المواقف قابلة للتبرير، وتظهر مواقف الحياة بصورة تلقائية، من خلال توقعات تنشا كليا وجزئيا في لغة الحياة اليومية التي يشترك فيها الأفراد بوصفهم أعضاء في نظام اجتماعي معين".[4]

الأنماط الرشيدة للفعل:

ولقد حدد جارفينكل[5] أربعة عشر مجالا تظهر فيها هذه الأنماط الرشيدة من السلوك هي:

- عندما يصنف الفرد الأشياء أو الناس أو يقارن بينها.
- عندما يزن الأمور أو يقدر خطا محتملا.

---

[1] احمد زايد: مرجع سابق، ص: 441.
[2] رث واللاسوالسون وولف، مرجع سابق، ص: 434
[3] رث واللاسوالسون وولف، مرجع سابق، ص: 433.
[4] احمد زايد: مرجع سابق، ص: 332.
[5] احمد زايد: مرجع سابق، ص: 332.

- عندما يبحث عن الوسائل التي تحقق أهدافه.
- عندما يحلل البدائل والنتائج المترتبة عليها.
- عندما يستخدم إستراتيجية معينة.
- عندما يقدر قيمة الوقت.
- عندما يتنبأ بالأحداث.
- عندما يستخدم قواعد إجراء معين.
- عندما يقدم على الاختيار.
- أو يستعمل معايير مقررة للاختيار.
- عندما يطابق بين الغايات والوسائل من خلال معايير مقررة أيضا.
- عندما يسعى إلى الوضوح والتمييز بين الأشياء كي لا يقع في خطا.
- عندما يسعى إلى الوضوح والتمييز كهدف في حد ذاته.
- عندما يحاول أن يوفق (أو يطابق) بين تحديده للموقف والمعرفة العلمية.

فالمنهج الاثنوميتودولوجي يسعى إلى فهم الأفراد من الداخل، من خلال تصورات هؤلاء الأفراد العقلانية التي يكونونها خلال علاقات التفاعل مع الآخرين، ومن خلال المعاني الذاتية التي يضفيها هؤلاء الأفراد على أفعالهم...والنظرية التي يتوصل إليها الباحث لا تعدو إلا أن تكون تمحيصا وتهذيبا لما يفتعل في عقول الأفراد من نظريات.

المعاني والتعليل:

اهتم جارفينكل[1] كغيره من الظاهراتيين بالمعنى، وكيف يتكشف هذا من خلال البينذاتية. ويحاول جارفينكل في مؤلفه "دراسات في الاثنوميتوجولوجي" أن يبين:

- أن المحادثات اليومية العادية تنقل معان أكثر مما تحمل الكلمات مباشرة .
- أن مثل هذه المحادثات تفترض محتوى ذا دلالات مشتركة.
- أن الفهم المشترك الذي يوافق أو ينتج عن المحادثات يشمل عملية مستمرة من التأويل البينذاتي، وأخيرا،
- أن التبادل والشؤون اليومية بمنهجية، وخطة وبالتالي خاصة "عقلانية" بحيث أن الإنسان يصل إلى المعنى لما يلفظ الآخر من خلال فهمه لل"القاعدة" التي قامت عليها.

يطالب جارفينكلالاثنوميتودولوجيين على أن يلفتوا أنظارهم إلى الممارسات الانعكاسية، إذ بتعليله الممارسات يتمكن العضو (في الجماعة والمجتمع) من إدراك نشاطات الحياة اليومية باعتبارها نشاطات مألوفة واعتيادية...في كل مناسبة يستخدم فيها تعليل النشاطات الإنسانية...ينبغي أن تدرك باعتبارها ستكرر ثانية....[2]. إن التعليلات والمعاني في أي موقف تعتمد بشكل كبير على طبيعة الموقف. يوضح جارفينكل بان المعاني التي يلصقها شخصان بأي تفاعل ترتبط بموقع التفاعل وزمنه، وحاضر الأشخاص، وغرض ومقصد الفاعلين، ومعرفتهم مقاصد بعضهم البعض، وجميعها تمثل جوانب الطبيعة الفهرسية. ان النقطة المنهجية التي يطلبها جارفينكل من الطلبة الباحثين هي أن

[1] ارفنجز ايتلن، مرجع سابق، ص: 305-306.
[2] رث واللاسوالسون وولف، مرجع سابق، ص: 440

يطلبوا من حالات الدراسة تفسير الواضح[1]. يقول جارفينكل بأن:" التفاعل الاجتماعي قابل للتفسير فقط في سياق، والسياق وثيق الصلة بموضوع التفاعل ويحتل مكان القلب من اهتمامات الاثنوميتودولوجي"[2].

المنظر العملي والمنظر العلمي؛

أطلق جارفينكل على الفرد العادي المنظر العملي تمييزا له عن المنظر العلمي. وإذا كان المنظر العملي له أنماطه الرشيدة في التفكير، فان المنظر العلمي له أنماطه الخاصة به، وهي الأربعة الأنماط الأخيرة من الأربعة عشر نمطا-السابق ذكرها- ويختلف المنظر العلمي عن المنظر العملي في خمسة أشياء هي:

- يقف المنظر العلمي موقفا محايدا تجاه موضوعات العالم كما تبدو له، بينما يبحث المنظر الواقعي عن مدى صدق هذه الموضوعات.
- لا يهتم المنظر العلمي بما إذا كانت أفكاره ملائمة للسلوك في العالم الواقعي، بينما لا يهتم المنظر العملي بالأفكار إلا في ضوء ملاءمتها للسلوك.
- قد لا يبالي المنظر العلمي باعتبارات الوقت في الثقافة أو بأي وحدات أخرى مقننة من الناحية الاجتماعية، أما المنظر الواقعي فانه يقيم تفسيراته في ضوء هذه الوحدات، ويستخدمها ليطابق بين فرد وآخر.
- يفترض المنظر العلمي أن اتصالاته يمكن أن تفهم من خلال عالم أو منظر آخر، أما المنظر الواقعي فانه يؤكد على ضرورة أن تتوافق اتصالاته مع ما يتوقعه أي فرد سوى في المحيط الثقافي الذي يعيش فيه.
- يعرف المنظر العلمي أن وصفه للعالم ليس له أي معنى إذا لم يكن وصفا عاما، أما المنظر الواقعي فانه يفترض أن فهمه الخاص لأفعاله لا يتفق اتفاقا كليا مع فهم الآخرين لهذه الأفعال، وانه يجب أن يكون واعيا بآثار هذا الاختلاف.

ومن تلك العلاقة بين المنظر الواقعي والمنظر العلمي يتضح أن الاختلاف بينهما كامن في اختلاف الاهتمامات لا المنهج، فالمنظر العلمي يهتم بوصف العالم اليومي وتحليله، بينما يهتم المنظر الواقعي بإقامة علاقات تفاعلية بينه وبين الآخرين، ولكن كليهما يستخدم أسلوبا منهجيا واحدا أطلق عليه جارفينكل «**المنهج التوثيقي**Documentarymethod» وهو منهج يستخدمه الأفراد في تفسير سلوكهم تماما كما يستخدمه الباحث في فهم هذا السلوك.[3] فالدراسات الاثنوميتودولوجية "تحلل النشاطات اليومية، كما تجعلها طرق الأعضاء بشكل مرئي، وعقلانية ومعلنة، لجميع الأغراض العملية، أي قابلة للتفسير والفهم كتنظيمات من النشاطات اليومية المعتادة والمألوفة"[4].

الإنسان "المدمن ثقافيا" في علم الاجتماع؛

إن المحاولة الأكثر أهمية، هي محاولة جارفينكل أن يبرهن امبيريقيا الدرجة التي تعبر فيها نماذج الإنسان في المجتمع عن كونه "***مدمن مزمن***"، وعلى خطى شوتز يقول جارفينكل: إن علماء الاجتماع لم يأخذوا بالاعتبار بدرجة كافية أن أنماطهم ليست إلا توقعات مقننة، وخيالات يمكن أن تحجب الدرجة التي ينشط فيها الناس في إقامة والحفاظ على أنماط سلوكهم المقننة...وقد ينتج عن هذا في

---

[1] ارفنجزايتلن، مرجع سابق، ص: 306.
[2] رث واللاسوالسون وولف، مرجع سابق، ص: 441-442
[3] احمد زايد، مرجع سابق، ص: 444-445.
[4] رث واللاسوالسون وولف، مرجع سابق، ص: 436

الغالب سوء فهم "لطبيعة وظروف الأفعال الثابتة"...توصل جارفينكل إلى نتيجة هامة هي، إن تمسك شخص في المجتمع بقاعدة، لا يشير بالضرورة أو ينبع عن التزام بالقيم، وإنما يمكن أن يكون نتيجة "التوتر والقلق الناتج عن التوقعات التي تمنع الحالة من الظهور، ..***الخوف والقلق***، غالبا ما يمنع الناس من وضع القواعد تحت التجربة، أو التعلم منها أو تغييرها. ومن ثم فان المعرفة المهنية أو المعرفة العادية بالنظم غالبا ما تكون غير دقيقة أو حتى زائفة، لأنها تمنح هذه القواعد من الخصائص والسمات ما لم يتم اختباره والتحقق منه. والحقيقة، انه كلما كانت القاعدة أكثر أهمية، كلما زاد الاحتمال في أن المعرفة المرتبطة بها، تقوم أصلا على تجنب اختبارها. وبالدرجة التي يتغاضى الباحث الاجتماعي عن أن الخوف والقلق والجهل، وليس الالتزامات الايجابية بالقيم، هي التي تفسر إذعاننا لها- فإنّه يحول الناس الحقيقيين في المجتمع إلى مدمنين مزمنين.[1]

المنهج التوثيقي والشبه التجريبي؛

يقوم **المنهج التوثيقي** على مجموعة من المشاهدات المنفصلة يمكن أن تعتبر مؤشرات على نمط سلوكي معين. فالنمط السلوكي يشتق من السياق الكلي للمشاهدات، ومن معرفة المعاني التي يلصقها الأفراد بأفعالهم. ويستخدم الباحث –والفرد العادي أيضا- سواء اعتمد على الاستبار أو التسجيل أو التحليل أو أي أداة أخرى، يستخدم هذا المنهج في تفسير استجابات الأفراد أو في تجميع معلومات منفصلة ليتوصل إلى تفسير متسق للموقف ومن خلال المنهج التوثيقي يستطيع الباحث أن ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية لكي يكتشف مناهج الجماعة في الحياة من حياتها اليومية، والباحث الذي يستخدم المنهج التوثيقي يسجل منه يعتبر موقفا تفاعليا لا يتصنع فيه الباحث ولا المبحوث سلوكه[2]. ويتألف المنهج من معاملة مظهر خارجي فعلي "كوثيقة ل"، وباعتباره "يشير إلى"، وباعتباره "يقف بالنيابة عن"أنماط أساسية مفترضة مسبقا. ليس فقط أن الأنماط الأساسية تشتق من أدلتها الوثائقية الفردية، بل إن الأدلة الوثائقية الفردية في المقابل تفسر على أساس "ما هو معروف" عن الأنماط الأساسية.[3] كما رفضوا الاساليب الكمية –كالاستبيان والاختبارات- رفضا شديدا ذلك لأنها تفصل بين الباحث وموضوع دراسته[4] .

غير أن الأساليب والمواقف وما يحكمها من طقوس وقواعد لا يعي بها الأفراد، يمكن دراستها من خلال **منهج شبه تجريبي**Quasi Experimentalيخلقه الباحث داخل الجماعة التي يدرسها. ويتم ذلك بان يحاول الباحث أن يكسر القواعد التي تحكم سلوك الجماعة ثم يسجل رد فعل الجماعة تجاه هذا الكسر للقواعد، ومن ثم يستطيع أن يكتشفها بسهولة.[5]

من المآخذ؛

وإذا كان جارفينكل وزملاؤه قد أكدوا على المنهج التوثيقي والمنهج شبه التجريبي؛ فإنّهم رفضوا الأساليب الكمية رفضا شّديدا، ذلك أنها تفصل بين الباحث وموضوع دراسته، وتتضمن معرفة قبلية بالواقع يفرضها الباحث فرضا على أداة بحثه...كما تحفظوا على استخدام أسلوب المقابلة المفتوحة[6].

---

[1] ارفنج زايتلن: مرجع سابق، ص: 311.
[2] احمد زايد: مرجع سابق، ص: 444-445.
[3] رث واللاس والسون وولف: مرجع سابق، ص: 447
[4] احمد زايد: مرجع سابق، ص: 447.
[5] المرجع نفسه، ص: 446.
[6] المرجع نفسه، ص: 447.